

معاني الكلمات :

يقذفون من كل جانب : يرمجون من كل ناحية .

دحوراً : إبعاداً وطرداً .

واصب : دائم لا ينقطع .

خطف الخطفة : التقط الكلمة بسرعة خفية .

فأتبعه شهاب ثاقب : فلحقه كوكب مضى فأحرقه .

لازب : لازم ملتزم ببعضه ببعض .

داخرون : صاغرون أذلاء .

زجرة واحدة : صيحة واحدة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على طوائف الملائكة وعظمتها المقررة لعظمة خالقها الذي لا إله غيره .

٢ - أن ندرس الحكمة من وجود النجوم في السماء .

٣ - أن نؤمن أن الشياطين حرموا من استراق السمع ، وأن البعث لا بد منه .

المحتوى التربوي :

هذه السورة مكية تستهدف بناء العقيدة في النفوس ، وتحليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله ، ولكنها بصفة خاصة - تعالج صورة معينة من صور الشرك التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى ، هي الصورة التي كانت جاهلية العرب تستسيغها ، وهي تزعم أن هناك قرابة بين الله - سبحانه - وبين الجن ، وتستطرد في تلك الأسطورة فتزعم أنه من التزاوج بين الله - تعالى - والجنة ولدت الملائكة ، ثم تزعم أن الملائكة إناث ، وأنهن بنات الله .

هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية في هذه السورة تكشف عن تهافتها وسخفها ، ونظراً لأنها هي الموضوع البارز الذي تعالجه السورة ، فإنها تبدأ بالإشارة إلى طوائف من الملائكة يقسم الله عز وجل بها ؛ إظهاراً لعظم شأنها وكبر فوائدها ، وتنبهها إلى الاعتبار بصفتهها وما تستدعيه من سمتها .

يقول النسفي : « أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة ، فالزجرات السحاب سواقاً أو عن المعاصي بالإلهام ، فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها ، وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ، أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات ، فالزجرات بالمواظع والنصائح ، فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه ، أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف ، وتزجر الخيل للجهاد ، وتتلو الذكر مع ذلك » .

يقسم الله سبحانه بهذه الطوائف من الملائكة على وحدانيته ، فليس له شريك في الإلهية فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء وسائر أنواع العبادة ، والله سبحانه رب السموات والأرض وما بينهما ، فهو الخالق لهذه المخلوقات والرازق لها ، المدير لها ، فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها ، فكذلك لا شريك له في ألوهيته ، وكثيراً ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية لأنه دال عليه ، وقد أقر به أيضاً المشركون في العبادة ، فيلزمهم بها أقروا به على ما أنكروه :

وخص الله المشارق بالذكر ، لدلالاتها على المغرب ، أو لأنها مشارق النجوم التي يذكرها فائدتين عظيمتين : إحداهما : كونها زينة للسماء ؛ إذ لولاها لكانت السماء جرماً مظلماً لا ضوء فيها ، ولكن زينتها فيها لتستنير أرجاؤها وتحسن صورتها ، ويمتدى بها في ظلمات البر والبحر ، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل ، والثانية : حراسة السماء عن كل شيطان مارد يصل بتمرده إلى استماع الملائكة الأعلى ، وهم الملائكة ، فإذا استمعت قذفها بالشهب الثواقب من كل جانب طرداً لهم ، وإبعاداً عن استماع ما يقول الملائكة الأعلى ، فهم في الدنيا مرجومون بالشهب ، وقد أعد لهم في الآخرة نوعاً من العذاب دائماً غير منقطع .

ولولا أنه تعالى استثنى لكان ذلك دليلاً على أنهم لا يستمعون شيئاً أصلاً ، ولكن استثنى من تلقف من الشياطين المردة ، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة ، وتارة يدركه الشهاب قبل أن يوصلها إلى أوليائه فينقطع خبر السماء وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء .

ولما بين هذه المخلوقات العظيمة قال . اسأل منكري خلقهم بعد موتهم ، هل يجادهم بعد موتهم أشد خلقاً وأشق أم من خلقنا من هذه المخلوقات ؟ فلا بد أن يقرر أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ومن هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة كان خلق البشر أهون عليه ، وذكر خلقهم من طين احتجاجاً عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب . فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب .

يقول صاحب الأساس : « هذه الآية جسر للانتقال إلى موضوع اليوم الآخر ، وهي جسر يبين أن موضوع اليوم الآخر مرتبط بموضوع الإيمان بالله ، فالسياق أشعرنا أن مجرد معرفة أن الله هو الخالق لما ذكر ، فهذا يقتضي إيماناً بالبعث ، والسياق أشعرنا أن الكافرين لا يعطون هذا

اللازم حقه ، ومن ثمَّ أمر الله سبحانه رسوله أن يوجه لهم هذا السؤال ليقيم عليهم الحجة من خلاله ، ومن هذا نفهم أن الذى لا يؤمن باليوم الآخر ليس مؤمناً بالله أصلاً .

ثم يلتفت السياق إلى عجب الرسول ﷺ من تكذيب من كذب بالبعث ، بعد أن أراهم الله من الآيات العظيمة والأدلة المستقيمة ، وهو حقيقة محل عجب واستغراب ؛ لأنه مما لا يقبل الإنكار ، وأعجب من إنكارهم وأبلغ منه أنهم يسخرون ممن جاء بالخبر عن البعث ، فلم يكفهم مجرد الإنكار ، حتى زادوا السخرية بالقول الحق ، ومن العجب أيضاً أنهم إذا ذكروا ما يعرفون في فطرهم وعقولهم وفطنوا له ، وألفت نظرهم إليه لا يذكرون ذلك ، ومن العجب أيضاً أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة يسخرون منها ويعجبون ، ومن العجب أيضاً قولهم للحق لما جاءهم ما هو إلا سحر ظاهر ، وما هو الذى سموه سحراً ؟ إنه البعث ، فهم يتساءلون سؤال إنكار أنبعث إذا كنا تراباً وعظاماً أو أبيعث أيضاً أبأؤنا الأقدمون ؟ ويعنون أنهم أقدم ، فبعثهم أبعد وأبطل .

ولما كان هذا منتهى ما عندهم وغاية ما لديهم ، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم ، فقال : قل نعم ستبعثون أنتم وأبأؤكم الأولون وأنتم ذليلون صاغرون ، لا تمتنعون ولا تستعصون على قدرة الله ، وما هى إلا صيحة واحدة فإذا هم أحياء بصراء ينظرون إلى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم ، وعندئذ يرجعون على أنفسهم بالملامة ، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم فى الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم ، وقالوا : هذا اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا ، والويل كلمة يقولها وقت الهلكة ، ويقال لهم على وجه التقرع والتوبيخ : هذا يوم القضاء الذى كنتم به تكذبون ، ثم يؤمر بهم إلى النار التى بها كانوا يكذبون ، فيقال : احشروا الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصى ، وأزواجهم الذين من جنس عملهم كل يضم إلى من يجانسه فى العمل ، وما كانوا يعبدونها من الأصنام والأنداد فاجعوهم وسوقوهم سوقاً عنيقاً إلى جهنم ، وبعد ما يتعين أمرهم إلى النار يقال : قفوههم قبل أن توصلوهم إلى جهنم ، إنهم مسؤولون عما كانوا يفترونه فى الدنيا ، ليظهر على رؤوس الأشهاد وكذبهم وفضيحتهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - الملائكة خلق عظيم من خلق الله تعالى - مطيعون لربهم ، عابدون له منفذون لأوامره يجب الإيذان بهم .

٢ - الشياطين أعداء الإنسان ولا يجوز طاعتهم ، وهم لا يملكون نفعا ولا ضراً ، ولا يعلمون غيباً .

٣ - عدم الانتفاع بالإيذان عند معاينة العذاب .

معاني الكلمات :

مستسلمون عاجزون جميعاً عن الانتصار .

سلطان : قوة وقدرة .

طاغين : مجاوزين الحد في العصيان .

بكأس : بخمر أو بقدرح فيه خمر .

معين : شراب نابع من عيون الجنة .

ينزفون : يسكرون .

بيض مكنون : لؤلؤ مستور .

قرين : مرافق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نؤمن بقدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء .
- ٢ - أن نتعرف على موقف المعاندين المستهزين يوم القيامة وما سيلاقونه من عذاب .
- ٣ - أن نعلم جزاء عباد الله المخلصين وما سيكونون فيه من نعيم وتكريم لنسارع بالعمل حتى نكون منهم .

المحتوى التربوي :

هاهم أولاء قد هدوا إلى صراط الجحيم ، ووقفوا على استعداد للسؤال وها هو ذا الخطاب يوجه إليهم بالتفريغ في صورة سؤال برىء ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً وأنتم هاهنا جميعاً ؟ وكلكم في حاجة إلى الناصر المعين ؟! ومعكم أهتكم التي كنتم تعبدون ، ولا جواب بطبيعة الحال ولا كلام ، إنما يرد التعليق والتعقيب بأنهم منقادون لأمر الله ، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه ، أو قد أسلم بعضهم بعضاً ، وخذله عن عجز ، فكلهم مستسلم غير متصر .

ثم أقبلوا فيما بينهم يلوم بعضهم بعضاً على إضلالهم وضلالهم ، فقال الأتباع للمتبعين : إنكم كنتم تحملوننا على الضلال ، وتقهرونا بالقدرة منكم علينا ؛ لأننا كنا أذلاء وكنتم أغزاء ،

فقال القادة والرؤساء من الجن والإنس للأتباع : بل أبيتكم أنتم الإيوان ، وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه ، مختارين له على الكفر غير ملجئين ، وما كان لنا من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين للطغيان ، فلزمننا جميعاً وعيد الله بأننا لذائقون لعذابه لا محالة ، لعلمه بحاله .

ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمراً مقضياً لا محيص لهم عنه ، وإن غاية ما فعلوا بهم أنهم دعوهم إلى الغي لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم ، وفيه إيحاء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم؛ إذ لو كان كل غواية لإغواء غاوٍ فمن أغواهم ، وإن الأتباع والمتبوعين يشتركون في العذاب يومئذ ، كما كانوا مشتركين في الغواية .

ومثل ذلك الفعل نفعل بالمشركين ، الذين كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا إلا الإشراف ، فهم يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون ، ويقولون : أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون ، يصفون رسول الله ﷺ بذلك ، وحاشاه .

يقول صاحب الأساس : « إن هذا يدل على أن أصل البلاء ومشكلته الكبرى هو الشرك ، وأن الداء الذي ينبع عنه كل شر هو الشرك ، فعنه ينبثق الكفر باليوم الآخر ، وعنه ينبثق الكفر بالرسول عليهم الصلاة والسلام ، ومن ثم قلنا : إن السياق الرئيسي للسورة يصب في موضوع التوحيد والمواضيع الأخرى التي تتحدث عنها السورة كلها تنفرع عن هذا الأصل » .

ثم يكمل التعليق متوجهاً فيه بالتأنيب والتقبيح لقائل هذا الكلام المردول ، فرد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون ، ومحيطه صدق المرسلين ، فلولا محيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين ، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله ؛ لأنهم أخبروا به وبشروا ، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق ، لئن جاءهم ليؤمنن به ولينصرنه ، وأخذوا ذلك على أعمهم ، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله ، وتبين كذب من خالفهم ، فلو قدر عدم محيئه ، وهم قد أخبروا به لكان ذلك قادحاً في صدقهم ، وصدق أيضاً المرسلين بأن ما جاء بها جاؤوا به ، ودعا إلى ما دعوا إليه ، وآمن بهم ، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم .

ثم أخبر الله تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين وهو الخبر الصادر منه تعالى ، بأن منهم سيذوقون العذاب الشديد بالإشراف وتكذيب الرسل ، وليس عقابهم وتعذيبهم هذا ظلماً ، ثم استثنى الله تعالى من ذلك عباده المخلصين .

قال ابن كثير : « ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب ، بل متجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، إلى ما يشاء الله من التضعيف » .

وهم - أولاً عباد الله المخلصون وفي هذا إشارة إلى أعلى مراتب التكريم ، ولهم رزق غير مجهول ، رزق عظيم جليل ، لا يجهل أمره ، ولا يبلغ كنهه ، فلهم فواكه من جميع أنواع الفواكه التى تتفكه بها النفس لذتها وطعمها ، وهم - ثانياً - مكرمون لا مهانون محقرين بل معظمون يحلون موقرون ، قد أكرم بعضهم بعضاً ، وأكرمهم الملائكة الكرام ، وصاروا يدخلون عليهم من كل باب ، ويهتئونهم بيلوغ أهنا الثواب ، وأكرمهم أكرم الأكرمين ، وجاء عليهم بأنواع الكرامات من نعيم القلوب والأرواح والأبدان فى الجنات التى النعيم وصفها ، والسرور نعتها ، وذلك لما جمعته مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وسلمت من كل مغل بنعيمها من جميع المكدرات والمنغصات .

ومن كرامتهم عند ربهم ، وإكرام بعضهم بعضاً ، أنهم على سرر وهى المجالس المرتفعة المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة ، المزخرفة الجميلة ، فهم متكئون عليها على وجه الراحة والطمأنينة والفرح ، متقابلون فيما بينهم قد صفت قلوبهم ومحبتهم فيما بينهم ، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض ، فإن مقابلة وجوههم تدل على تقابل قلوبهم وتأدب بعضهم مع بعض ، ويتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة بالكاسات الجميلة المنظر ، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك وهى كاسات الخمر ، وتلك الخمر لونها بيضاء من أحسن الألوان ، وفى طعمها لذة يتلذذ شاربها بها وقت شربها وبعده ، وأنها سالمة من غول العقل وذهابه ونزفه ونزف مال صاحبها ، وليس فيها صداع ولا كدر ، فلما ذكر طعامهم وشرابهم ومجالسهم وعموم النعيم وتفصيله ، لكن فصل هذه الأشياء لتعلم فتشاق النفوس إليها ، ذكر أزواجهم فعند أصحاب النعيم فى محلاتهم القريبة حور حسان ، كاملات الأوصاف قاصرات الطرف ، إما أنها قصرت طرفها على زوجها لعفتها وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها لكمالها وجمالها ، وتلك الزوجات حسان الأعين جيلاتى ملاح الحدق ، وهن كالبيض المستور من حسنهن وصفائهن ، وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها ، ليس فيه كدر ولا شين .

ولما ذكر الله تعالى نعيمهم وتمام سرورهم بالمآكل والمشرب ، والأزواج الحسان والمجالس الحسنة ، ذكر تذاكرهم فيما بينهم ، ومطارحتهم للأحاديث عن الأمور الماضية ، وأنهم ما زالوا فى المحادثة والتساؤل حتى أفضى ذلك بهم ، إلى أن قال قائل منهم : إن لى جليساً فى الدنيا ... ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - علينا أن نحسن اختيار أصدقائنا وتجنب أصدقاء السوء فالمرء على دين خليله .

٢ - بيان فضل الله إذ يجزى المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة ضعف .

٣ - تقرير البعث وبيان بعض ما يجرى فيه من قول وعمل .

معانى الكلمات :

المدنيون : لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا ؟ !
لتردين : لتهلكنى .

المحضرين : المسوقين إلى جهنم المحضرين
فيها .

نزلا : ضيافة .

فتنة : ابتلاء وتعذيب .

أصل الجحيم : قعر جهنم .

طلعها : ثمرها .

لشوبا من حميم : خلطا من ماء حار جدا .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقلياً .

٢ - أن نعلم أحسن الأساليب في الدعوة وهو التهيب والترغيب .

٣ - أن نتعرف على قصة نوح عليه السلام ، وإجابة الله دعاءه .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى الحكاية المصورة التى يتذاكر فيها عباد الله المخلصون الماضى والحاضر ، وأحدهم يستعيد ماضيه ، ويقص على إخوانه طرفا مما وقع له ، لقد كان صاحبه وقرينه ذاك يكذب باليوم الآخر ، ويسأله فى دهشة : أهو من المصدقين بأنهم مبعوثون محاسبون بعد إذ هم تراب وعظام ؟ !

وبينا هو ماض فى قصته يعرضها فى سمره مع إخوانه ، يخطر له أن يتفقد صاحبه وقرينه ذاك ليعرف مصيره ، وهو يعرف بطبيعة الحال أنه قد صار إلى الجحيم ، فيتطلع ويدعو إخوانه إلى التطلع معه ، وعندئذ يتوجه إلى قرينه الذى وجده فى وسط الجحيم ، يتوجه إليه ليقول له : يا هذا ،

لقد كدت توردنى المهالك بوسوستك ، لولا أن الله قد أنعم علىّ فعصمنى من الاستماع إليك ، ولولا هذه النعمة لكنت من الذين يساقون إلى الموقف وهم كارهون .

ويقول المؤمن مبتهجا بنعمة الله على أهل الجنة بالخلود الدائم فيها ، والسلامة من العذاب - استفهام بمعنى الإثبات والتقرير ، أى يقول لقرينه المعذب : أفترعم أننا لسنا نموت سوى الموة الأولى ، ولا بعث بعدها ولا عذاب .

ولما ذكر تعالى نعيم الجنة ، ووصفه بهذه الأوصاف الجميلة مدحه وشوق العاملين ، وحثهم على العمل ، فقال : إن الذى حصل لهم به كل خير ، وكل ما تهوى النفوس وتشتهى ، واندفع عنهم به كل محذور ومكروه ، فهل فوز يطلب فوقه ؟ أم هو غاية الغايات ونهاية النهايات ، حيث حل عليهم رضا رب السموات والأرض ، وفرحوا بقربه ، وتنعموا بمعرفته ، واستروا برؤيته وطربوا لكلامه ؟

وهذا النعيم الذى لا يدركه فوت ، ولا يخشى عليه من نفاذ ، ولا يعقبه موت ، ولا يتهدده العذاب ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، فهذا هو الذى يستحق الاحتفال ، وما عداه مما ينفق فيه الناس أعمارهم على الأرض زهيد حين يقاس إلى هذا الخلود ، فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس ، وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس ، والحسرة كل الحسرة أن يمضى على الحازم وقت من أوقاته وهو غير مشغول بالعمل الذى يقرب لهذه الدار ، فكيف إذا كان يسير بخطاياهم إلى دار البوار ؟! ولكى يتضح الفارق الهائل بين هذا النعيم الخالد الآمن الدائم الراضى ، والمصير الآخر الذى ينتظر الفريق الآخر ، فإن السياق يستطرد إلى ما ينتظر هذا الفريق بعد موقف الحشر والحساب الذى ورد فى مطلع المشهد الفريد فيقول : أذلك النعيم الذى وصفناه لأهل الجنة خير أم العذاب الذى يكون فى الجحيم من جميع أصناف العذاب ؟ فأى : الطعامين أولى ؟ الذى وصف فى الجنة أم طعام أهل النار ؟ النعيم المقيم أم شجرة الزقوم ؟

وما شجرة الزقوم ؟ قد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له : الزقوم ، أو أنها شجرة مريكون بتهامة ، هذه الشجرة غذيت من النار ومنها خلقت ، وهى محنة وعذاب للظالمين فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا ، ولما سمعوا أنها فى النار قالوا : كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق ما يعيش فى النار ويلتذ بها ، فهو أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الإحراق ، فهى شجرة منبتها فى قعر جهنم ، وأغصانها ترتفع إلى دركاتنا .

يقول العلامة السعدى : « فهذا مخرجها ومعدنها أشر المعادن وأسوأها ، وشر المغرس يدل على شر الغراس وخسته ، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به ، وبما ذكر من صفة ثمرتها ، وأنها كروؤوس الشياطين فلا تسأل بعد هذا عن طعمها ، وما تفعل فى أجوافهم وبطونهم وليس عنها مندوحة ولا معدل » .

وإذا أكلوا منها شاكحت حلوقهم وهى كرؤوس الشياطين - وحرقت بطونهم - وهى تنبت فى أصل الجحيم ولا تحترق لأنها من نوع الحميم ، وتطلعوا إلى برد الشراب ينقع الغلة ويطفئ اللهب ، فإنهم لشاربون عليها ماء ساخنا مشوباً غير خالص ، وبعد هذه الوجبة يغادرون تلك المائدة عائدين إلى مقرهم المقيم ، وياله من نزل ، وياله من معاد ؛ ليذوقوا من عذابه الشديد وحره العظيم ، ما ليس عليه مزيد من الشقاء .

وكأنه قيل : ما الذى أوصلهم إلى هذه الدار؟ فقال: إنهم وجدوا آباءهم عريقين فى الضلالة ، وهم فى الوقت ذاته مقلدون لا يفكرون ولا يتدبرون ، بل يطيطرون معجلين يقفون خطأ آبائهم الضالين غير ناظرين ولا متعقلين ، وهم وآباؤهم صورة من صور الضلال التى يمثلها أكثر الأولين ، وكان ضلالهم بعد الإنذار والتحذير ، ولكن كيف كانت العاقبة ؟ كيف كانت عاقبة المكذبين ؟ وكيف كانت عاقبة عباد الله المخلصين ، إنها معروضة فى سلسلة القصص ، وهذا الإعلان فى مقدمتها للتنبيه .

ثم ذكر أنموذجاً من عواقب الأمم المكذبين ، فيخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أول الرسل ، أنه لما دعا قومه إلى الله تلك المدة الطويلة ، فلم يزداهم دعاؤه إلا فراراً ، فنادى عليه السلام ربه بألا يترك على الأرض أحداً من الكافرين ، وأن ينصره على القوم المفسدين ، فاستجاب الله له ، ومدح تعالى نفسه بأنه خير من يستجيب لدعاء الداعين ، وسامع تبتلهم وتضرعهم ، فقد أجابه إجابة طابق ما سأل ، نجاه وأهله من الكرب العظيم .

يقول ابن كثير : « لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة ، شرع يبين ذلك مفصلاً ، فذكر نوحا عليه السلام ، وما لقى من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة ، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة ، فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، فغضب الله لغضبه ... » .

ويقول صاحب الأساس : « فى التمثيل بقصة نوح عليه السلام فى سياق السورة توضيح لنجاة عباد الله المخلصين ، من عذاب الدنيا ، وتوضيح لقيمة الإيمان ، ونموذج على إرسال الله الرسل للإنذار ، ونموذج على أن هؤلاء الرسل هم المثل الأعلى للأخلاق الربانية من إحسان وإيمان . »
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - يجب ألا نقتل الآخرين تقليداً أعمى فى كل شئ ، وإنما نفكر ونتدبر فى كل عمل قبل أن نقوم به ، حتى يكون موافقاً لأمر الله تعالى ورسوله .

٢ - التحذير من قرناء السوء .

٣ - الحث على كثرة الأعمال الصالحة ، والبعد عن الأعمال الفاسدة .

معاني الكلمات :

الآخرين : الكافرين الذين لم يؤمنوا .

شيعته : من سار على منهاجه وملتته .

سليم : نقى ، طاهر ، نظيف .

أنفكاً : أكذباً وباطلاً .

فنظر : فتأمل .

سقيم : مريض .

فراغ : فذهب .

يزفون : يسرعون .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله في الدنيا والآخرة .

٢ - أن نؤمن بأن أصل الدين واحد ، فالإسلام دين الله .

٣ - أن نعلم ابتلاء إبراهيم عليه السلام ، ووجوب بر الوالدين .

المحتوى التربوي :

تتضمن الإشارة هنا نجاة نوح عليه السلام وأهله من الكرب العظيم ، كرب الطوفان الذي لم ينج منه إلا من أراد له الله النجاة وقدر له الحياة ، وتتضمن قدر الله بأن يجعل من ذرية نوح عماراً لهذه الأرض وخلفاء ، وأن يبقى ذكره في الأجيال الآتية إلى آخر الزمان ، وتعلن في الخافقين سلام الله على نوح جزاء إحسانه ، وأى جزاء بعد سلام الله ، والذكر الباقي بعد سلام الله ، والذكر الباقي مدى الحياة . أما مظهر الإحسان وسبب الجزاء فهو الإيمان ، وهذه هي عاقبة المؤمنين .

يقول صاحب الأساس : « في قوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إشارة إلى كون نوح عليه السلام من الموحدين المؤمنين ، ومن ثم فإن قصة نوح خدمت سياق السورة من عدة

نوح ، أولاً : في موضوع التوحيد ، ثانياً : في موضوع بعثة الرسل جميعاً بالتوحيد ، ثالثاً : في موضوع إنجاء الله المؤمنين من العذاب ، رابعاً : في إبراز قيمة الإيمان في موازين الله عز وجل .

فالإيمان أرفع منازل العباد وأنه مشتمل على جميع شرائع الدين وأصوله وفروعه ، لأن الله مدح به خواص خلقه ، وأما غير المؤمنين من قوم نوح ، فقد كتب الله عليهم الهلاك والفناء مكان مصيرهم الغرق ، ومضت سنة الله منذ فجر البشرية البعيد .

ثم تحيء قصة إبراهيم عليه السلام وهو ممن شايع نوحاً عليه السلام في الإيمان وأصول الشريعة ، ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع أو غالباً ، وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم ، والقصة أكبر موعظة لكفار قريش ؛ لأنهم ينتمون إلى إبراهيم ويدعون أنهم على ملته وملة ولده إسماعيل ؛ فلذا أطال الحديث فيها .

وتحىء القصة في حلفتين رئيسيتين: حلقة دعوته لقومه، وتحطيم الأصنام ، وهمهم به ليقتلوه ، وحماية الله له وخذلان شائنيه - وهي حلقة تكررت من قبل في سور القرآن ، وحلقة جديدة لا تعرض في غير هذه السورة ، وهي الخاصة بحادث الرؤيا والذبح والفداء ، مفصلة المراحل والخطوات والمواقف ، في أسلوبها الأخاذ وأدائها الرهيب ، ممثلة أعلى صور الطاعة والتضحية والفداء والتسليم في عالم العقيدة في تاريخ البشرية الطويل ، وتبدأ القصة بعقد صلة العقيدة والدعوة والطريق بين إبراهيم ونوح عليهما السلام ويبرز من صفة إبراهيم سلامة القلب وصحة العقيدة وخلوص الضمير ، وصورة الاستسلام الخالص تتمثل في محيئه لربه ، وصورة النقاء والطهارة والبراءة والاستقامة تتمثل في سلامة قلبه .

وبهذا القلب السليم ، استنكر ما عليه قومه واستبشعه ، استنكار الحس السليم لكل ما تنبو عنه الفطرة الصادقة من تصور ومن سلوك ، وإذا به يهتف بأبيه وقومه هتاف الفطرة السليمة في استنكار شديد ، ماذا تعبدون ؟! إن ما تعبدون ليس من شأنه أن يعبد، ولا أن يكون له عابدون ، وما يعبد الإنسان في شبهة من حق ، إنما هو الإفك المحض ، والافتراء الذي لا شبهة فيه ، فهل أنتم تقصدون إلى الإفك قصداً وإلى الافتراء عمداً ، وما هو تصوركم لله ، وهي كلمة يبدو فيها استنكار الفطرة السليمة البريئة، وهي تطلع على الأمر البين الذي يصدم الحس والعقل والضمير .

ويسقط السياق هنا ردهم عليه وحوارهم معه ، ويمضي مباشرة في المشهد التالي إلى عزيمته التي قررها في نفسه تجاه هذا الإفك المكشوف ؛ فينظر في النجوم رامياً ببصره إلى الساء ، متفكراً في نفسه كيف - يحتمل لإصلاح اعتقادهم ، أو أراهم أنه ينظر في النجوم لاعتقادهم علم النجوم ، فأوهمهم أنه استدل بأماراة على أنه يسقم لثلا يخرجوه إلى معبدهم ، فإنه كان أغلب أسقامهم الطاعون ، وكانوا يخافون العدوى ، وأراد أنى سقيم القلب لكفرهم، فتركوه هاربين مخافة العدوى ، فذهب إلى آهتهم في خفية ، فقال للأصنام استهزاء : ألا تأكلون يعنى الطعام الذي كان عندهم ولم تجبه الأصنام بطبيعة الحال ويسأل في تهكم لم لا تنطقون ؟ ! وهنا يفرغ شحنة

الغيظ فعلا لا قولا فجعل يضربها بقوته ونشاطه ، حتى جعلها جذاذا وترك كبيرها لعل القوم يرجعون إليه .

وتسامع قومه بالخبر وعرفوا من الفاعل ، فأقبلوا إليه بعد ما رجعوا يزف بعضهم بعضا مسرعين ، فلما جازوه ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيهم ، فقال : أتعبدون ما تصنعون بأيديكم وتتركون الإخلاص لله الذى خلقكم وخلق أعمالكم بإقداره إياكم عليها ، ولما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه ؛ لثلا يظهر للعامة عجزهم ، فاتخذوا منطق الحديد والنار الذى لا يعرف الطغاة منطقا سواه ، ويختصر السياق هنا ما حدث بعد ما بنوا بنيانا غالبا مرتفعا وأوقدوا فيه النار التى ألقوا فيها إبراهيم عليه السلام ، يختصر السياق هذا ليعرض العقوبة التى تحقق وعد الله لعباده المخلصين ووعيده لأعدائهم المكذبين ، وأين يذهب كيد العباد إذا كان الله يريد ، وماذا يملك أولئك الضعاف إذا كانت رعاية الله تحوط عباده المخلصين .

وتأتى الحلقة الثانية فى القصة ممثلة فى الهجرة والتضحية والفداء ، وطوى إبراهيم عليه السلام صفحة لينشر أخرى . فترك أباه وقومه وأهله وبيته ووطنه وكل ما يربطه بهذه الأرض وبهؤلاء الناس ، ويدع وراءه كذلك كل عائق وكل شاغل ويهاجر إلى ربه متخففا من كل شيء ، وهى هجرة نفسية قبل أن تكون مكانية ، هجرة كاملة من حال إلى حال ، ومن أواصر شتى إلى أصرة واحدة لا يزحها فى النفس شيء ، إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين ، وكان إبراهيم حتى هذه اللحظة وحيدا لا عقب له فاتجه إلى ربه الذى أعلن أنه ذاهب إليه ، اتجه إليه يسأله الذرية المؤمنة والخلق الصالح ليعينه على الدعوة ويؤنسه فى الغربية ، فيبشر بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم ، فلما وجد الولد وبلغ أن يسعى معه فى أعماله ، قال إبراهيم عليه السلام : لابنه إني رأيت فى الرؤيا - ورؤيا الأنبياء حق ، أن الله أمرنى بذبحك فما رأيك ؟ وشاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه إن سلم ، وليوطن نفسه عليه فيهنون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله .

ويتلقى إسماعيل عليه السلام الأمر فى طاعة واستسلام ورضا ويقين ، ويحس ما أحسه من قلب أبيه فيقول مودة وقربى : امض لما أمرك الله ، وأخبره أنه موطن نفسه على الصبر وقرن ذلك بمشيئة الله حتى لا تكون بطولة ولا شجاعة ولا اندفاعا ، وإنما مرجعه رضا التسليم ونبيل الطاعة وروعة الإيثار .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - رؤيا الأنبياء حق ، وهى نوع من وحى الله تعالى لهم .
- ٢ - الفطرة النقية السليمة لا تقبل الشرك وتميل إلى التوحيد .
- ٣ - الإيمان يمد الإنسان بالقوة التى تجعله يتغلب على جميع العقبات ، والله نعم المعين .

معانى الكلمات :

أسلما : استسلما وخضعا . تله للجبين :

ألقاه على وجهه .

مننا : أنعمنا .

الكرب : الغم .

المستين : الكامل في بيانه .

الصرط : الطريق .

إلياس : أحد أنبياء بنى إسرائيل .

بعلا : اسم صنم عبده .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على إبراهيم عليه السلام وعلو مقامه عند ربه .
- ٢ - أن نعلم إكرام الله لرسوله : موسى وهارون عليهما السلام .
- ٣ - أن نعلم فضل الإحسان والإيمان .

المحتوى التربوي :

يخطو السياق وراء الحوار والكلام إلى التنفيذ ، ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة ، وعظمة الإيمان ، وطمأنينة الرضا وراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان ، إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعداداً ، وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعاً ، وقد وصل الأمر إلى أن يكون عياناً .

يقول صاحب الظلال : « لقد أسلما فهذا هو الإسلام ، هذا هو الإسلام في حقيقته ، ثقة وطاعة وطمأنينة ورضا وتسليم ، وتنفيذ ، وكلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم ، إنها ليست الشجاعة والجرأة ، وليس الاندفاع والحماسة ، لقد يندفع المجاهد في الميدان ، يقتل ويُقتل ، ولقد يندفع الفدائي وهو يعلم أنه قد لا يعود ، ولكن

هذا كله شيء والذى يصنعه إبراهيم وإسماعيل هنا شئ آخر ، ليس هنا دم فائر ، ولا حماسة دافعة ، ولا اندفاع فى عجلة تخفى وراءها الخوف من الضعف والتكوص ، إنما هو الاستسلام الواعى المتعقل القاصد المريد ، العارف بما يفعل ، المطمئن لما يكون ، لا بل هنا الرضا الهادئ المستبشر المتذوق للطاعة وطعمها الجميل .

وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا ، كان قد أسلما ، كان قد حققا الأمر والتكليف ، ولم يكن باقيا إلا أن يذبح إسماعيل ، ويسيل دمه وتزهق روحه ، وهذا أمر لا يعنى شيئا فى ميزان الله ، بعد ما وضع إبراهيم وإسماعيل فى هذا الميزان من روحهما وعزمهما ومشاعرهما كل ما أراه من ربهما ، وصرع إبراهيم إسماعيل على شقه فوق جبينه على الأرض ، وهو أحد جانبي الجبهة ، وقيل : كبه على وجهه بإشارته لئلا يرى فيه تغيراً يرق له فلا يذبحه ، وكان ذلك عند الصخرة بمعنى أو فى الموضع المشرف على مسجده أو المنحر الذى ينحرف فيه اليوم .

يقول صاحب الظلال : « كان الابتلاء قد تم ، والامتحان قد وقع ، ونتائجه قد ظهرت ، وغاياته قد تحققت ، ولم يعد إلا الألم البدنى ، وإلا الدم المسفوح ، والجسد الذبيح ، والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد ماءهم وأجسادهم فى شئ ، ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا ، وقد حققوا التكليف ، وقد جاوزوا الامتحان بنجاح ، وعرف الله من إبراهيم وإسماعيل صدقها ، فاعتبرهما قد أديا وحققا وصدقا » .

وفى تلك الحال المزعجة ، والعزم الأكيد والإتيان بالمقدمات نودى إبراهيم : قد فعلت ما أمرت به ، وحصل المقصود من رؤياك ولم يبق إلا إمرار السكين ، والله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لا يبقى فى النفس ما تكنه عن الله أو تعزه عن أمره أو تحتفظ به دونه ، ولو كان هو الابن فلذة الكبد ، ولو كانت هى النفس والحياة .

ثم كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله ، وإظهار فضلها به على العالمين ، مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك ، ويأتى التعليل بأننا نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء ، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء ، ونجزيهم بإقذارهم وإصبارهم على الأداء ، ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء ، ومضت بذلك سنة النحر فى الأضحى ذكرى لهذا الحادث العظيم الذى يرتفع منارة حقيقة الإيمان ، وجمال الطاعة وعظمة التسليم ، والذى ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم ، الذى تتبع ملته ، وترث نسبه وعقيدته .

وهذا هو الابتلاء البين الذى يتبين فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة فإنه لا أصعب منها ، وتم الفداء بكبش عظيم الجثة سمين ، وهو عظيم القدر لأنه يفدى به الله نبيا ابن

نبي ، والفادى على الحقيقة هو إبراهيم عليه السلام ، والله هو المعطى له الأمر به ، وما من أمة بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهى تسلم على إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وهذا جزاء المحسنين بأن يُبارك لهم فى الذكر الحسن والسلام والتكريم بعد البلاء ، وهذا جزاء الإيمان ، وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين .

ثم يتجلى عليه ربه بفضل له مرة أخرى ونعمته فيهب له إسحاق فى شيخوخته ، ويباركه ويبارك إسحاق ، ويجعل إسحاق نبيا من الصالحين ، وتلاحق من بعدهما ذريتهما ، ولكن وراثة هذه الذرية لهما ليست وراثة الدم والنسب ، إنما هى وراثة الملة والمنهج ، فمن اتبع فهو محسن ، ومن انحرف فهو ظالم لا ينفعه نسب قريب أو بعيد .

ومن ذريتهما موسى وهارون ، ويذكر تعالى منته على عبديه ورسوليه موسى وهارون ابني عمران . بالنبوة والرسالة والدعوة إلى الله تعالى ، ونجاتهما وقومهما من عدوهما فرعون ، ونصرهما عليه حتى أغرقه الله وهم ينظرون ، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين ، وهو التوراة التى فيها الأحكام والمواظ وتفصيل كل شىء ، وأن الله هداهما الصراط المستقيم ، بأن شرع لهما دينا وتحية فى الآخرين ، ومن باب أولى وأحرى فى الأولين ، ومثل ذلك الجزاء نجزى به المحسنين الذين أحسنوا الاعتقاد والعمل ، والإيمان أصل كل خير .

وتأتى قصة إيلias عليه السلام والأرجح أنه النبى المعروف فى العهد القديم باسم إيلياء ، وقد أرسل إلى قوم فى سورية كانوا يعبدون صنما يسمونه بعلا ، وما تزال آثار مدينة (بعليك) تدل على آثار هذه العبادة .

ولقد دعا إيلias عليه السلام قومه إلى التوحيد مستنكراً عبادتهم لبعل ، وتركهم أحسن الخالقين ربهم ورب آبائهم الأولين ؛ إسحاق ويعقوب وإبراهيم ، وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، وكما استنكر إبراهيم عبادة أبيه وقومه للأصنام ، وكما استنكر كل رسول عبادة قومه الوثنيين كان إيلias عليه السلام مستنكراً .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - يستجيب الله تعالى دعاء المخلصين من عباده إذا تضرعوا إليه واستغفروه .
- ٢ - حسن الأدب مع الوالدين وطاعتهم ومساعدتهم فى أعمالهما ؛ امتثالاً لأمر الله تعالى - وعرفانا بفضلها .
- ٣ - الحلم من الصفات الطيبة التى يتحلى بها المؤمن فيكون راضى النفس ، واسع الصدر .
- ٤ - الاستعانة بالله فى جميع الأمور أمر مطلوب .

معاني الكلمات :

محضرون : مجموعون في العذاب .

الغابرين : الهالكين .

المدحضين : المغلوبين .

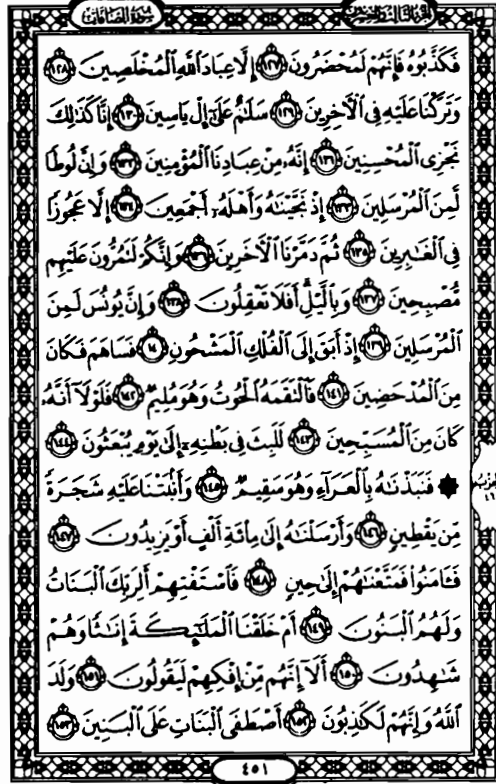
فنبذناه : فأخرجناه .

بالمراء : بالأرض الفضاء .

سقيم : مريض هزيل .

يقطين : شجر القرع .

إفكهم : كذبهم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على قصة لوط عليه السلام حين نجاه الله وأهله جميعاً ما عدا امرأته الكافرة .

٢ - أن نتعرف على قصة يونس عليه السلام .

٣ - أن نتعلم كيف نتعظ بالأحداث ونعتبر بالتاريخ .

المحتوى التربوي :

يمضي السياق فيذكر العاقبة وهي التكذيب ، والله سبحانه يقسم ويؤكد أنهم سيحضرون مكربين ليلقوا جزاء المكذبين إلا من آمن منهم واستخلصه الله من عباده فيهم ، ويختم ذكر إلياس عليه السلام تلك الخاتمة المكررة المقصودة في السورة لتكريم رسل الله بالسلام عليهم من قبله ، وليبين جزاء المحسنين وقيمة إيمان المؤمنين .

ثم تأتي قصة لوط ، وهي أشبه باللمحة التي جاءت عن قصة نوح ، فهي تشير إلى رسالة لوط ونجاته مع أهله إلا امرأته ، وتدمير المكذبين الضالين ، وتنتهي بلمسة لقلوب العرب الذين

يمرون على دار قوم لوط في الصباح والمساء ، ولا تستيقظ قلوبهم ولا تستمع لحديث الديار الخاوية ، ولا تخاف عاقبة كعاقبتها الحزينة .

قال النسفى : « وإنما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهم ؛ لأن الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة ، فاكفى بذلك عن ذكر كل واحد منفرداً بالسلام » .

وتختم قصص السورة بصاحب الحوت يونس عليه السلام ، ولا يذكر القرآن أين كان قوم يونس ، ولكن المفهوم أنهم كانوا في بقعة قريبة من البحر ، وتذكر الروايات أن يونس ضاق صدرأ بتكذيب قومه ، فأنذرهم بعذاب قريب ، وغادرهم مغاضباً أبقاً ، فغاده الغضب إلى شاطئ البحر حيث ركب سفينة مشحونة ، وفي وسط اللجة ناوأها الرياح والأمواج وكان هذا إيذاناً عند القوم بأن من بين الركاب راكبا مغضوباً عليه ، لأنه ارتكب خطيئة ، وأنه لابد أن يلقي في الماء لتنجو السفينة من الغرق ، فاقترعوا على من يلقونه من السفينة لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام ، وكان معروفا عندهم بالصلاح ، ولكن سهمه خرج بشكل أكبر فألقوه في البحر أو ألقى هو نفسه ، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار ، وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحماً ، ولا يكسر له عظماً ، فجاء ذلك الحوت والتقمه وذهب به فطاف به البحار كلها .

التقمه الحوت وهو مستحق للوم ؛ لأنه تخلى عن المهمة التى أرسله الله بها ، وترك قومه مغاضباً قبل أن يأذن الله له ، ولما استقر في بطن الحوت حسب أنه قد مات ، ثم حرك رأسه وأطرافه فإذا هو حى ، وعندما أحس بالضيق في بطن الحوت سبى الله واستغفره ، وذكر أنه كان من الظالمين ، فسمع الله دعاءه واستجاب له فلفظه الحوت ، ولولا ما تقدم له من العمل في الرخاء لظل في بطن الحوت إلى يوم البعث .

وقد خرج من بطن الحوت بالأرض الخالية العارية من كل أحد ، بل ربما كانت عارية من الأشجار والظلال ، وقد سقم ومرض بسبب حبسه في بطن الحوت ، حتى صار مثل الفرخ الممعوط من البيضة ، وأنبت الله تعالى عليه شجرة من القرع تظله بظلها الظليل ؛ لأنها باردة باردة الظلال ، ولا يسقط عليها ذباب ، وهذا من لطفه به وبره ، فلما استكمل عافيته رده الله إلى قومه الذين تركهم مغاضباً وكانوا قد خافوا ما أنذرهم به من العذاب بعد خروجه ، فأمنوا ، واستغفروا ، وطلبوا العفو من الله فسمع لهم ولم ينزل بهم عذاب المكذبين ، وكانوا مائة ألف يزيدون ولا ينقصون ، وقد آمنوا أجمعين .

وهذه اللمحة بسياقها هاهنا تبين عاقبة الذين آمنوا ، بجانب ما تبينه القصص السابقة من عاقبة الذين لا يؤمنون ، فيختار قوم محمد ﷺ إحدى العاقبتين كما يشاؤون ، وعلى ضوء ذلك

القصص وما اشتمل عليه من حقيقة الصلة بين الله وعباده ، ومن أخذه المكذبين بهذه الحقيقة ، الذين يعبدون غير الله أو يشركون معه بعض خلقه .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يوجه السياق الرسول ﷺ أن يناقش معهم تلك الأسطورة التي يزعمون فيها أن الملائكة بنات الله ، فهو يحاصر أسطورتهم في كل مسار بها ، ويحاجهم بمنطقهم ومنطق بيثتهم التي يعيشون فيها ، وهم كانوا يؤثرون البنين على البنات ، ويعدون ولادة الأنثى محنة ، ويعدون الأنثى مخلوقاً أقل رتبة من الذكر ، ثم هم الذين يدعون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله .

وهنا يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : أسأل المشركين بالله غيره ، الذين عبدوا الملائكة ، وزعموا أنها بنات الله ، فجمعوا بين الشرك بالله ووصفه بها لا يليق بجلاله ، وهذه قسمة ضيزى ، وقول جائر ؛ من جهة جعلهم الولد لله تعالى ، ومن جهة جعلهم أرباباً القسمين وأخسها له في نظرهم ، وهو البنات التي لا يرضونهن لأنفسهم ، واستأثروا هم بالبنين ، أو اختار الله البنات وترك لهم البنين ، وهذا أو ذاك لا يستقيم ، فأسألهم عن هذا الزعم المتهاافت السقيم ، أليس هذا منتهى الحماقة والجهل وسوء التقدير ، وكيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم ، قال النفسى : « تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم ، وتجهيل لهم ؛ لأنهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة ، لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ، ولا بإخبار صادق ، ولا بطريق استدلال ، أو معناه أنهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لإفراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم » .

ويستعرض السياق نص مقولتهم المقترة الكاذبة على الله ، وهم كاذبون حتى يحكم عرفهم الشائع ومنطقهم الجارى في اصطفاء البنين على البنات ، فكيف اصطفى الله البنات على البنين ؟ قال ابن كثير : « ذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب : فأولا جعلوهم بنات الله ، فجعلوا لله ولداً - تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ، ثم عبدوهم من دون الله - تعالى وتقدس وكل منها كاف للتخليد في نار جهنم » .

ثم قال تعالى منكراً عليهم : أأختار الله البنات على البنين ؟! وأى شيء يحمله على هذا ، وهذا استفهام توبيخ .

ما ترشدنا إليه الآيات تريباً :

١ - لا ينفع الإنسان أمام الله تعالى - يوم الحساب إلا عمله الذى قدمه في هذه الدنيا .

٢ - ضرورة الاتعاظ بما حدث للسابقين ، والاعتبار بأحداث التاريخ .

٣ - الله تعالى يتقبل دعاء الضارعين إليه ، وخاصة عند الشدائد ما داموا مخلصين لله دعاءهم .

معاني الكلمات :

سلطان : حجة وبرهان .

الجنة : الجن .

بفاتنين : بمضلين أو مفسدين .

صال الجحيم : داخلها أو مقاسي حرها .

الصابون : الواقفون في العبادة صفوفًا .

كلمتنا : وعدنا .

فتول : فأعرض .

بساحتهم : بأرضهم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على مناقشة من يزعم أن بينه تعالى وبين الجنة نسبا .

٢ - أن نتعرف على مواجهة الكافرين بما كانوا يقولون من الإيثار إذ جاءهم الرسول وقد كفروا به .

٣ - أن نعلم أن الله وعد عباده المؤمنين بالغلبة والنصر ، وأنه لا محالة واقع .

المحتوى التربوي :

يمضي السياق في استفهام توبيخ الكافرين ، فما الذي يجعلهم يحكمون هذا الحكم الفاسد ؟ ! أما لهم عقول يتدبرون بها ما يقولون ، فيرون في تذكرهم أنهم بهذا يجعلون الله المقام الأدنى ولأنفسهم المقام الأعلى على حسب تصوراتهم وقيمهم .

ومن أين تستمدون السند والدليل على الحكم المزعوم ؟ ألكم حجة ظاهرة أو دليل مصدق نزل عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله ؟ فهاتوا برهانًا على ذلك يكون مستند إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه ، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل ، بل لا يجوزه العقل بالكلية ، وقد جعل هؤلاء المشركون بالله بين الله وبين الجنة نسبا ، حيث زعموا

أن الملائكة بنات الله ، وأن أمهاتهم سرورات الجن ، والحال أن الجنة قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله ، ليجازيهم عباداً أذلاء ، فلو كان بينهم وبينه نسب لم يكونوا كذلك .

وهنا ينزه ذاته سبحانه عن هذا الإفك المتهافت ، سبحانه الله الملك العظيم ، الكامل الحليم عما يصفه به المشركون من كل وصف أوجبه كفرهم وشركهم ، ومن مجموع هذا نفهم أن عباد الله المخلصين هم الموحدون ، وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ، فهؤلاء الذين يصفون الله عز وجل بما هو أهله .

ويواجه السياق المشركين أنكم ومن عبدتموه مع الله ، لا تقدرُونَ أن تفتنوا وتضلوا أحداً إلا من قضى الله أنه من أهل الجحيم ، فينفذ فيه القضاء الإلهي ، والمقصود من هذا بيان عجزهم وعجز آلهتهم عن إضلال أحد ، وبيان كمال قدرة الله تعالى ، أي : فلا تطمعوا بإضلال عباد الله المخلصين وحزبه المفلحين .

قال صاحب الأساس : « بين الله عز وجل في هذه الآيات أن الدعاة إلى الشرك لا يفتنون إلا من استوجب النار ، وبهذا علمنا أن المستجيبين للرسل هم أهل الجنة ، لأنهم أهل التوحيد الذي بدونه لا يدخل أحد الجنة ؛ وبهذه الآيات عرفنا أن كل الكلام السابق من نسبة الولد والأخ والزوجة إلى الله ، كل ذلك مغل بالتوحيد وهو شرك ، ثم حدثنا الله عز وجل عن الملائكة الذين زعم المشركون أنهم بنات الله ما هو مقالمهم وما هو فعلهم » .

ثم عرفنا الله ماهية مقام العبودية الكامل الذي يتحقق به الملائكة عليهم الرضوان ، وهو مقام جدير أن يقتدى به ، ولذلك فإن رسول الله ﷺ كان يؤدب المسلمين عليه ، وهو مقام يتنافى مع ما ينسبه المشركون للملائكة من معان .

ويرد الملائكة على الأسطورة ، بأن لكل منهم مقامه الذي لا يتعداه ، فهم عباد من خلق الله ، لهم وظائف في طاعة الله ، فهم يصفون للصلاة ، ويسبحون بحمد الله ، ويقف كل منهم على درجة لا يتجاوز حده ، والله هو الله ، ويعود السياق للحديث عن المشركين الذين يطلقون هذه الأساطير ، فيعرض عهودهم ووعودهم ، يوم كانوا يحسدون أهل الكتاب على أنهم أهل كتاب ؛ ويقولون لو كان عندنا ذكر من الأولين - من إبراهيم أو من جاء بعده - لكننا على درجة من الإيمان يستخلصنا الله من أجلها ويصطفينا ، حتى إذا جاءهم ذكر هو أعظم ما جاء إلى هذه الأرض تنكروا لما كانوا يقولون وكفروا به ، فسوف يعلمون العذاب حين يقع منهم .

يقول صاحب الظلال : « يقرر وعد الله لرسله بالنصر والغلبة ، والوعد واقع وكلمة الله قائمة ، ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض ، وقام بناء الإيمان ، على الرغم من جميع العوائق ، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين ، وعلى الرغم من التنكيل بالدعاة والمتبعين ، ولقد ذهبت عقائد المشركين والكفار ، وذهبت سطوتهم ودولتهم ، وبقيت العقائد التي جاء بها الرسل تسيطر على قلوب الناس وعقولهم ، وتكيف تصوراتهم وأفهامهم ، وما تزال على الرغم من كل شيء هي أظهر وأبقى ما يسيطر على البشر في أنحاء الأرض .

وكل المحاولات التى بذلت لمحو العقائد الإلهية التى جاء بها الرسل ، وتغليب أية فكرة أو فلسفة أخرى قد باءت بالفشل ، باءت بالفشل حتى فى الأرض التى نبعث منها ، وحقت كلمة الله لعباده المرسلين أنهم لهم المنصورون ، وأن جنده لهم الغالبون ، وهذه بصفة عامة ، وهى ظاهرة ملحوظة فى جميع بقاع الأرض فى جميع العصور .

وهى كذلك متحققة فى كل دعوة لله ، يخلص فيها الجند ، ويتجرد لها الدعاة ، إنها غالبية منصوره مهما وضعت فى سبيلها العوائق ، وقامت فى طريقها العراقيل ، ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار ، وقوى الدعاية والافتراء ، وقوى الحرب والمقاومة ، وإن هى إلا معارك تختلف نتائجها ، ثم تنتهى إلى الوعد الذى وعده الله لرسله ، والذى لا يخلف ولو قامت قوى الأرض كلها فى طريقه ، الوعد بالنصر والغلبة والتمكين ، هذا الوعد سنة من سنن الله الكونية ، سنة ماضية » .

وقال : « ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند الله وأتباع رسله ، ويريد الله صورة أخرى أكمل وأبقى ، فيكون ما يريد الله .. ولقد يهزم جنود الله فى معركة من المعارك ، وتدور عليهم الدائرة ، ويقسو عليهم الابتلاء ، لأن الله يعدهم للنصر فى معركة أكبر ، ولأن الله يهين الظروف من حولهم ليؤتى النصر يومئذ ثماره فى مجال أوسع ، وفى خط أطول ، وفى أثر أدوم » .

وبعد هذا الإعلان القاطع أمر الله رسوله بالإعراض عن عاندوا ولم يقبلوا الحق حتى يأتى الموعد لنصره عليهم فى اليوم الذى تراههم فيه ويرون هم ما ينتهى إليه وعد الله فيك وفيهم ، فإذا أنزل الكتاب بهم وقريباً منهم صبحهم بما يسوء وقدم له النذير ، ثم كرر الأمر بالتولى عنهم وتهديدهم بوقوع العذاب ، كما يكرر الإشارة إلى هول ما سيكون ، ويدعه مهملاً يوحى بالهول المرهوب .

ولما ذكر فى هذه السورة كثيراً من أقوالهم الشنيعة التى وصفوه بها نزه نفسه عنها ، وخصها بالعزة ، وبالسلم من الله على رسله وإعلان الحمد لله الواحد رب العالمين بلا شريك ، فجميع أنواع الحمد من الصفات الكاملة العظيمة؛ الأفعال التى ربه بها العالمين ، وأدر عليهم فيها النعم ، وصرف عنهم بها النقم ، ودبرهم تعالى فى حركاتهم وسكونهم ، فى جميع أحوالهم كلها لله تعالى ، فهو المقدس عن النقص ، المحمود بكل كمال ، المحبوب المعظم .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - إثبات عقيدة التوحيد الخالص ، وتنزيه الله تعالى عن الشريك والزوج والولد .

٢ - الملائكة عباد الله يقومون بتنفيذ أوامره ولكل منهم مقامه ووظيفته ، والجن من خلق الله تعالى .

٣ - وعد الله واقع لا محالة ، وكلمة الله قائمة .